

دور الادب في معركة فلسطين

بقلم

عبدالله بن خميس

بحث قدم الى مؤتمر الادباء العرب الخامس
١٥ ـ ٢١ شباط ١٩٦٥
بغداد

مطبعة العاني ـ بغداد



دور الادب في معركة فلسطين

بقلم
عبدالله بن خميس

بحث قدم الى مؤتمر الادباء العرب الخامس
١٥ ــ ٢١ شباط ١٩٦٥
بغداد

مطبعة العاني ــ بغداد

في انتفاضات الامم ، ومعاركها ، وبناء أمجادها •• للادب دور التكوين ، والقيادة ، والخلود •• وبقدر ما يكون الادب ناضجا ، وشجاعا – ومستوعبا •• بقدر ما تكون الامة – بمختلف اطوارها – في مستوى مسؤولياتها فهما وحصافة •• وقوة •• فيه تتفاعل افكار الامة ، وتتجسم مشاعرها ، وينداح أفقها ، ويلحب طريقها •• في دور التكوين •• وبه تحفظ توازنها ، وتصل حاضرها بماضيها ، وترسم خطط مستقبلها •• في دور القيادة •• وبه تنشر مآثرها ، ومفاخرها ، وتسجل صفحاتها المشرقة ، وايامها الغر •• في دور الخلود •• ولسنا في شك من ان أمثال فولتير ، وملتون وتوماس بن ، ورسو •• واضرابهم من رواد الفكر ، واعلام الغرب •• قد هيئوا لاممهم سبل القيادة والسيادة ، واناروا لها المسالك وشقوا لها مصاعب الطرق ، وعرفهم التاريخ بناة ، ودعاة ، وروادا •• قبل ان يعرف من أممهم قادة الحروب ، واقطاب السياسة وفقهاء القانون ، ونوابغ الاختراع ••

وان أمثال الكواكبي ، ومحمد عبده ، وابن عبدالوهاب ، والافغاني ، واليازجي ، والبستاني ، والبارودي •• وأضرابهم من نوابغ شرقنا العربي •• هم سر انتفاضة الشرق ، ومصدر يقظته ، وبدء مده ••

واذا فالادب جزء من كيان الامة ، ورافد من روافد حياتها ، وطاقة فاعلة تهبها الوجود والصمود •• وللادب العربي في قضايا العرب ، ومعاركها •• ما لم يكن للآداب الاخرى ، لا من حيث قوة تأثيره ، واستيلاؤه على عاطفة العربي ، ووجدانه فحسب •• بل ومن حيث دينونة العربي له ، وقوة استعداده لاحكامه ، وسرعة تأثره به •• نشأ هذا مع العربي منذ العرب البائدة ، وحينما وقفت عفيرة بنت عباد من جديس تنعى

على قومها استسلامهم للظلم ، وهتك الحرمات ، وتستعديهم على طسم فتقول :

أيجعل ما يؤتى الى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة ... جهارا وزفت في النساء الى بعل
ولو أننا كنا رجالا وكنتم ... نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم ... ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لا يعبن من الكحل

فكانت سببا لحرب طاحنة أبيد فيها طسم ، وغسل فيها عار جديس .. ولم يزل الادب العربي يواكب معارك العرب ، ويذكي فيهم روح التضحية ، والفداء ، والاقدام .. ويحملهم على اجتناب العار ، والذب عن الديار .. تعقد له اسواقهم وتحفل به انديتهم ، ويحتفلون بشاعر ينبغ بشعره ، وخطيب ينبه ذكره ..

ولو استنطقنا الاسفار عن دور الادب ، في معارك العرب ، لنطقت بثروة زاخرة وكثرة كاثرة .. وجاء الاسلام ليجد مكانة الادب في أوساط بزوغ شمسه سامية ، وبضاعته نافقة ، وآثاره مستحكمة .. فكال لهم منه ولم يطفف ، وبسط لهم فيه ولم يبخل .. وجاءهم في القرآن بما عرفوه ، وما لم يعرفوه ، من سمو الفصاحة ،واشراق البيان ، واعجاز اللسن .. لانه اراد ان يخاطب العرب من أدق مواطن وجدانهم ، ومن حيث كان احتفالهم وعنايتهم ومصدار افتخارهم وهو الادب والفصاحة .. وجاء الى ميدان الحروب ، واستنهاض الهمم للمعارك ، وتعزية النفوس في النكبات والقروح .. فأبدع ، وامتع ، وصدع بقوارع ومقارع .. هي في الفصاحة غاية ، وفي تحريك الهمم فوق منتهى ما يصل اليه بيان ، وفي الحلاوة والطلاوة .. ما يرنح الذواقة ، ويخلب لب البليغ ..

وأفسح الاسلام المجال للشعر ، وأمده بفيض من روافد بيانه ، ومزيد من معانيه ، ومبانيه .. ليجد فيه لمعاركه سلاحا أقوى ، وزندا أشد .. فقال نبي الاسلام لشاعره حسان ، يحرضه على ثلب المشركين : اهجهم

يا حسان فان هجاءك اياهم اشد عليهم من ضرب السيف ورمي النبل .. فانطلقت قذائف الشعر من حسان ، وابن رواحة ، وكعب وغيرهم من شعراء النبي ، تسلق المشركين ، وتقض مضاجعهم ، وتلهب احساس المؤمنين ، وتغرس فيهم روح الجهاد والتضحية والفداء ..

وواكبت مواكب الادب قضايا الاسلام ، ومعاركه ، وفتوحاته .. وأسهمت في حروب الفتن في صدر الاسلام تذكى العقائد المتناحرة ، وتنميها .. ووجد الادب في حروب الرايات المتطاحنة ، من أمويين ، وزبيريين ، وهاشميين ، وخوارج .. مرتعا خصيبا راجت فيه سوقه ، وطغى ماؤه .. كما كان له في أتون هذه المناحرات دور المؤجج الحرد ..

ومضى الادب يساير التطورات ويتخذ منه السادة ، والقادة سلاحا يخشى ، ويرجى ، ومهمازا للاقدام والصبر في الملمات ..

قال معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه : لقد هممت بالهزيمة يوم صفين لولا أبيات لابن الاطنابة :

أبت لي همتي وابى بلائي ... واخذى الحمد بالثمن الربيح
واقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى او تستريحي

وقفل الرشيد من حرب الروم منتصرا ظافرا ، قد أعطاه (نقفور) عهودا ومواثيق على السمع والطاعة .. وقبيل دخوله عاصمة ملكه ، ادرك حاشيته ان (نقفور) نقض عهده ، ولم يجرؤ على مكاشفته بالخبر ، فقدموا الشعر بين أيديهم ، ووقف الحجاج التميمي ينشد :

نقص الذي اعطيته نقفور ... وعليه دائرة البوار تدور

قطعة شعرية رائعة اشتملت على الخبر ليكر الرشيد فيؤدب نقفور ، ويمرغ كبرياءه في الرغام .. ولم يزل الادب يتقدم المعارك ، ويؤم الابطال، وتنطلق به الالسنة ارتجازا عند اللقاء ، ويردده نساء العرب يغرين ويحملن به الرجال على الاقدام :

نحـــن بنـــات طـــــارق نمشـــي على النمـــــــارق
ان تقبلــــــوا نعـــــانق او تدبـــــروا نفـــــارق
فـراق غير وامـــــــق

وما من معركة الا والشعر يسايرها ، يتقدمها بالتحريض والاغراء ، ويأتي بعدها للتهاني ، أو للتعزية والسلوان •• ومن ذا ينكر مواقف ابى تمام مع المعتصم في فتح عمورية وسواها •• والمتنبى وأبى فراس مع سيف الدولة •• والبهاء زهير مع صلاح الدين •• وكذلك يفعل الادب في معارك العرب ، وايامهم ونكباتهم ، وانتصاراتهم ••

هذه حال الادب العربي في اوساط العرب ، وبين من تربهم وشائج القربى ، وأواصر اللغة ، وروابط الوطن ، وصلاة العقيدة •• أو مع من هو قرن للعرب اصالة ومجدا وكفاءة وسمو غرض •• يلهب الاحاسيس ويؤجج الثورات ، ويستعدى قرنا على قرن ، وموتورا على واتر ••

وما شهد الادب في تاريخ العرب ـ وربما في تاريخ غيرهم ـ أبشع ولا افظع مما ابتليت به الامة العربية في نكبة فلسطين •• كانت تتنفس الصعداء بعد قرون عجاف قضتها تحت ظل الاستعمار وويلاته ونكاياته •• وتتجمع بعد فرقة ، وتلتئم بعد شتات ، وتدب فيها روح الحياة واليقظة •• وتحاول ان تفصم القيود •• وتتخطى السدود •• وكانت لا تزال في عقابيل أدواء ، ونقاهة أمراض تقعد بها عن بلوغ امانيها ، وتعوقها عن سيرها في طريقها السوي •• فالوعي في سوادها لم يستكمل ، والوحدة في صفوفها لم تنضج ، والجدة في امكانياتها لم تتوفر •• والاكثر من اجزائها لـم يتحـرر ••

وكان الاستعمار ـ وهو مصيبة الامة العربية وداؤها الوبيل ـ يرقب حركاتها بحذر ، ويسبر يقظتها بتخوف •• ويخشى من انطلاق المارد ، وانتفاضة الجبار •• في ظلال وحدة لغة حية ، وعقيدة خالدة ، وتاريخ حافل بالامجاد •• وآمال عريضة ، وآلام مضنية ، وعلى رقعة وطن يمتد من المحيط الى الخليج ، يجثم على ملتقى بحار ، وتتصافح به القارات ،

ويفيض بالخيرات والامكانيات •• تحتله أمة عرفت بماضيها المجيد ، وذكائها النادر ، وعقيدتها الموحدة ، وجوهرها الصافي الاصيل ••

وما أخال أمة هذا شأنها ، تتوفر فيها هذه الصفات وتملك هذه المقدرات •• تستيقظ وتستغل طاقاتها ، وتأخذ مركزها الطبيعي بين الامم •• ثم تترك للاستعمار فيها أثرا ، او لمصالحه منفذا ، او لركائزه وجودا ••

ومن هنا قلق الاستعمار ، وأراد ان يعوق سير الركب ، ويضع العراقيل ، وينشر الفساد والافساد •• ويزرع جرثومة السرطان في جسم الامة العربية •• فجاء باسرائيل ، ووضعها في قلب الامة العربية ، وحاك حولها من المبررات ، والحيل •• ما أراد به ان تسمو وتنمو •• ودعمها بالمال والسلاح ، واسندها في المحافل الدولية •• وصادق من يصادقها ، وعادى من يعاديها •• ولماذا اليهود بالذات ؟!

لانه يعلم العداء المستحكم ، والبغضاء المتأصلة ، والحقد الدفين الذي يحمله اليهود للعرب والمسلمين •• أخذا عن القرآن : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنو اليهود » •

وعن التاريخ ، وعن الواقع ••

فاتحدت المصالح الاستعمارية اللئيمة ، والصهيونية الغادرة •• فتضافرت قوى الشر ، وتعانقت رغبات الباطل ، وانطلق السرطان يعبث في الجسم ، ويشتد في الاذى •• فكانت النكبة ، وكان تشريد مليون ونصف من العرب يهيمون على وجوههم ، وكان القتل والفظائع والفضائح ، وكان احتلال اجزاء عزيزة غالية من الوطن العربي ، وكان خضد شوكة الامة العربية ، وهزيمة جيوشها المتعددة ، من مشردي وشذاذ العالم •• وكان الاسى والالم الممض في قلب الامة ، وكانت صفحة سوداء في تاريخ العرب لم يسبق لتاريخهم ان لطخ بمثلها •• وعلى يد من ؟!

ليته على يد أقران للعرب ، أو أكفاء لهم ، لتهون المصيبة ويخف العار •• ولكن ما أشد ألم العربي حينما يهينه مهين ، ويعبث بتاريخه زنيم ، انه يقول في مثل هذا الموقف :

لوذات سوار لطمتني !!

أو :

ولو أني بليت بهاشـــــمي خئولته بنو عبد المــــــدان
لهان عليّ ما ألقى ولكــــــن تعالوا فانظروا بمن ابتـــــلائي

ومن ذا أحط وألأم وأحقر من اليهود ؟!

لقد ضربت عليهم الذلة ، والمسكنة ، واحتقرهم العالم •• وعدوهم أوبئة يجب التخلص منها •• ولقد تساءل بعض المؤرخين : لماذا سبى بختنصر يهود فلسطين الى بابل ، ولم يسب غيرهم ؟!

ولماذا قتل الالمان يهود اوربا وأحرقوهم ، ولم يفعلوا ذلك بغيرهم ؟

فأجاب ، بأن القضية لا تحتاج الى جدل أكثر من ان كل من يخالط اليهود يراهم صنفا خبيثا من المخلوقات غير جدير بمعايشة بني الانسان ، ومن ثم فلم يوجد لهم علاج الا السجن والقتل •

فالصفة الاولى لهم الغدر ونقض المواثيق ، فما احتفظوا بعهودهم ولو مرة واحدة •• وفي هذا يقول القرآن :

ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ••

وصدق الله لقد بلغ مجموع حوادث نقضهم للهدنة ـ المشئومه مع العرب ـ الفا ومائة مرة في المدة الواقعة بين سنتي ٤٩ ـ ٥٥ •

هذا مما كان •• وهل هذا فحسب ؟!

لا : ان ما كان من هذا الواغل المهين ، الذي يسود الحــقد قلبه ، وتتجسم الثارات والذحول السود في نفسه •• لا يعني نكبة كانت فبانت ، ولا عدوا شفى غيظ قلبه وانتهى •• ولـكنها تعتبر بداية لنهاية هي طـي صفحة العرب من عالم الوجود ، وابادة خضرائهم ، وجعلهم أثرا بعد عين •• فالمخطط الصهيوني لم يعد سرا من الاسرار ، فعناصره تتكون مما يلي :

١ ـ احتلال ما بين النيل الى الفرات وجنوبا الى يثرب •

٢ ـ تدمير الامة العربية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا •

٣ ـ خدمة المصالح الاستعمارية وتثبيت اقدام الاستعمار في البلاد العربية متخذا اسرائيل قاعدة عسكرية له ..

على هذه الفظائع والفضائح .. فتح الادب العربي عينه ، وعاش أحداثها ،واكتوى بنارها ، وصلى بأوارها .. ومهما كان موقفه تجاه هذه القضية ، ومما جند نفسه في سبيلها .. لم تزل تطالبه بالمزيد ، وتصرخ ثاراتها ، وتندب قروحها ، وتدمى جروحها ..

والمؤسف ان الادب العربي ـ بالنسبة لقضية فلسطين ـ لم تكن له شخصية مميزة قبل النكبة .. وحينما كان الصراع سياسيا وحربيا بين العرب الفلسطينيين ، وبين اليهود والاستعمار الانكليزي داخل حدود فلسطين .. لقد رأينا شعراء فلسطين يقفون وحدهم في تلك المعركة القومية الحاسمة ويصارعون قوى الاستعمار ويحاولون ان ينبهوا في الامة العربية روح اليقظة لعدو الجميع .. ولكننا لم نجد استجابة فعلية يمكن ان نقول عنها انها ساهمت فيما قبل النكبة .. اللهم الا بعض أدباء العرب الذين كانت لهم لمحات لا يمكن ان نعتبرها موقفا لادب قومي أمام قضية العرب جميعا .. وتستهدف استئصالهم من الوجود .. في حين ان الادب يجب ان يسبق الحوادث ، ويتحسس المستقبل ، وتكون له بصيرة تخرق الحجب ، وتمزق الظلام .. ليهيء الافكار ، وينبه من الغفلة ، ويوقظ من السنة ، ويعد الامة لما أريد بها ، ومنها .. لهذا وقعت القضية والرأى العام العربي غير مطيء لحقائقها ، ودقائقها ، وغير مدرك من هم اليهود وما مخططاتهم تجاه الامة العربية جمعاء ، ومن هو من خلف اليهود ويعمل لهم ويدفعهم ، وبالتالى لم يكن الفكر العربي معدا اعدادا مركزا للعمل لقضايا العرب جميعا كأمة واحدة ، وكيان واحد ، يتأثر بكل ما يمسه في أي جزء من اجزائه ...

وأسمحوا لي أن أقول : انه لو كان الرأي العام العربى معبئا تعبئة كاملة ـ بالنسبة للقضية ـ لما وقع ما وقع من مهازل وانحرافات في حرب فلسطين في الجانب الغربي ، وكان لها أسوأ الاثر ـ الا على القضية

فحسب ـ ولكن على التاريخ العربي ، ومعنوية الامة العربية ..

وأي قوة تعبىء الرأى العام في معارك الحياة سوى الادب ؟!

اما يهود العالم فكانوا من اول وهلة يعدون قضية اسرائيل قضيتهم جميعا .. فكانت وقفتهم مع صهاينة فلسطين أكثر تضحية من وقفة العرب مع ابناء فلسطين .. وما ذلك الا لتعبئتهم قبل المعركة بسنين ..

اما بعد المعركة فقد اسهم الادب العربي بنصيب وافر ، وتفتق عن ثروة أدبية لها مدلولها ومفعولها في الاوساط العربية ، بما لم يسبق لقضية من قضايا العرب قديما وحديثا ان قوبلت بمثل هذه .. على مغامز وهنات ، سوف نعرض لها بعد ..

ففي مجال النثر والتأليف .. تناولها حشد من الكتاب والباحثين ، والمعلقين ، والمحققين .. فتناولوا القضية من جميع اطرافها ، ودرسوا مقدماتها ، ونتائجها ، واسبابها ومسبباتها ، وافاضوا في ذلك ... ولم يقتصر هذا الجهد على الادباء العرب بل ألف من ألف في القضية من مراقبي السياسة ، ومتابعي تياراتها في العالم .. فقام بعض الادباء العرب بترجمة بعضها ونشره ..

ومن أبرز وأمثل ما ألف في هذه القضية وجمع واستوعب ، وتعمق دراستها .. الدكتور وليد القمحاوي في مؤلفه « النكبة .. والبناء » فهذا المؤلف قال عنه بعض من وصفه :

« عاش الدكتور القمحاوي النكبة ، وذيول النكبة ، بجسمه وعقله واعصابه ، فافرغ خلاصة هذه التجربة المريرة في كتاب فريد يتجلى فيه أثر العقل كما يتجلى عمل الاعصاب .. ففيه درس ، وفيه تحليل ، وفيه نقمة ، وفيه سخط .. وفيه بحث عن الجذور التى ترقى الى العصور العربية الاولى .. » .

وبالجملة ففي مجال التأليف برزت ثورة الكتاب وبرز كتاب الثورة على مستوى هو ما هو قوة واستيعابا ..

وأسهم الشعر في القضية بما بز به جانب النثر ، وبما كان أكبر

تأثيرا ، وابعد مدى •• وتفنن في تناول اطراف القضية ، واستيعاب جوانبها •• وتعددت مناهج الشعراء حيال المعركة •• فتناولوا ذكريات الجمـال في مغاني فلسطين واخضرار الربى ، ومعاهد الصبا ، ونسـائم السحر ، وفواغم الزهر ، والرمال الذهـبية ، والرياض السندسية •• وشرحوا المأساة ، وشدة وقعها على العرب ، وما أعقبته من ويلات ، وعقابيل ، ونـدم وألم يترك قلب العربي يرشح أسى ، وعينه تبكي دما •••

وحثوا على الثأر والقاء اسرائيل في البحر ، وكيف ان العربي لا ينام على ضيم ، ولا يبقى على ترة ، ولا يترك لذاحل ذحلا ، ولا لاحمـق حماقة ••

ألا لا يجهلن احـد علينـا فنجهل فوق جهـل الجاهلينـا

ووصفوا حالة اللاجئين في اسمالهم البالية ، واكواخهـم المتهدمة ، وقلهم وذلهم ، وظمأ نفوسهم الى اوطانهم ، والبـكاء الثاكل ، والبؤس الماثل ••

وألحوا على ما فعلته الايدى الاثمة ، والنفوس الوحشية ، من رفـع الاطفال على رؤوس الحراب ، وبقر بطون الحـوامل ، وذبح الشيخ ، واقتحام عفاف المرأة العربية ، ومأساة بناة العرب في اسرائيل •• بما يعصر المهج ، ويفسح ساخن الدمع ••

ووقفوا امام دور العرب في حرب فلسطين ، وتخاذلهم ولعب أيدى المستعمر في القضية ، وتحـكم الاغراض والاهـواء •• وكيف ضاعت فلسطين من أيديهم :

عجبا لقومي والعدو بدارهـم كيف استطابوا اللهو والألعـابا
وتخاذلت اسيافهم عن سـحقه في حين كان النصر منهم قـابا

وان كانوا لم يتعمقوا هذا الجانب ، ولم يوفره حقه بما سوف نعـرض له بعد •• وذهبوا كل مذهب في تناول جوانب المأساة •• وانا لذاكرون هنا أمثلة مقتضبة ، ومجة من لجة •• وما أراني لـو انتقرت من كل روض زهرة ، ومن كل اسد زأره •• الا وافقا موقف الاملال ••

ولكنني استميحكم العذر لاختطف هذه الامثلة على رؤوس السهام من شعر الشعراء السعوديين فقط •• ففى مجال التذكير بالثأر الاسود يقول الشاعر فؤاد الخطيب :

هو الصوت دوى من فلسطين عاليا — وأوغل يغشى الشرق والغرب باكيا
فهل سمعت منه العروبة من صدى — وهل نشدت للعار بالسيف ما حيا
وان جبن الاحياء عن اخذ ثأرها — هززت من الموتى الجدود الاواليا
ومرغت وجهي في الثرى الثم الثرى — وصحت فحركت العظام البواليا
سل الصرخات الفاجعات فانها — لقد زلزلت حتى الجبال الرواسيا
وجفت ثدى المرضعات من الاسى — وامست ثدى المرضعات المآقيا
هي الجولة الاولى وللعرب كرة — وغير بعيد كل ما كان آتيا
وقد عرفت عنا فلسطين أننا — وان نحن فارقنا استطعنا التلاقيا

وللشاعر محمد على السنوسي :

هزو الجزيرة من أركانها حردا — وأشعلوا الشرق من اقطاره غضبا
ان الحياة جهاد والجدير بها — من غالب العاصفات الهوج والنوبا
واليأس أقتل داء••••••في أمم — تعاورتها الليالي فانثنت نصبا
فان من احكم الاقوال تجربة — اعدت الراحة الكبرى لمن تعبا
وان ابلغ ما تمنى به فئة — وقوفها ضد طغيان العدى شعبا

وللنداء بالثأر للاستاذ محمد المسيطير :

قلوب أهلي على الاوطان محدقة — وعن فلسطين عين القوم لم تنم
بالثأر بالصيحة الكبرى تضج قوى — بالنار امطرهم من وابل حمم
انا الذي اصنع التاريخ مهتديا — بساطع الحق اجلو حندس الغمم
يا دولة قوم الباغون سطوتها — وساقها الغدر من عاد ومن ارم
قد أوجب المجد ان نحيا على كرم — وأوجب الله ان نبقى على شمم

وللشاعر سعد البواردى :

هل دمي يفديك ان سال دمي — أو فمي يجديك ان قال فمي
نكبة تلقين يا أرضي فلا — عشت للايام ان لم تسلمي

قسما بالله والعمر فدى ... حين لا تفديك روح المسلم
أقدمي للثأر فالشعب هنا ... كله في الثأر جند ، أقدمي
نحن لن ننساك هذا جمعنا ... زاخر كالموج فيك يرتمي

وللشاعر ابراهيم فطاني :

يا سلالات خالد والمثنى ... وابى محجن وسعد المهاب
قد تنادت بكم فلسطين هيا ... من سواكم أولى برد الجواب
دير ياسين روعت من فعال ... قد أتاها حثالة الاوشاب
ضمخوا الارض بالدماء وراحوا ... يتهشون الاعراض نهش الذئاب
يا بني يعرب ، ولستم بنيه ... ان رضيتم بعد اللقى بالاياب
اشعلوها على العدو فاما ... ميتة العمر او بلوغ الطلاب

وعن ظلم الاستعمار ، وخداعه واحابيله ، ونقمته على العالم العربي يقول الشاعر عبدالله السناني :

نفوس ولكنها وحدة ... وعقد ولكنه منتظم
ونحن هنا في جبال الشام ... ونحن هناك بسفح الهرم
ومن كان فوق ضفاف المحيط ... يصافح منا الربى والحرم
يباعدنا موطن قسموه ... ويجمع منا الهوى والالم

وفي هذا يقول الشاعر خالد الفرج :

يا شرق مالك هادئا مستسلما ... لعواطف أودى بها الاخلاق
أو ما ترى الغرب العتي بظلمه ... أنحى عليك فضاق منك خناق
تشكو اليه ظلمه فيبش من ... هزىء ودمعك سائل رقراق
صم ولكن ان تكلم مدفع ... سمعوا وبان العدل والاشفاق

وفي تصوير المأساة ، وتجسيد الالم ، واحلام العودة ، يقول الشاعر محمد الشبل :

ماذا أقول وبين احضان الرمال أبث حزني
والى السكون سكون هذا الثغر اشدو بالتمني
وعلى خيال الموطن الغالي ومرتعه الاغن
تتنابى صور الكفاح وفي دمي الشكوى تغني

★ ★ ★

اليوم لا الغد يا بلادي سوف أرجع سيدا
كالنسمة البيضاء ينثرها على الزهر الندا
في موكب النصر المظفر فاتحا متمردا
اشدو الى الافق الحبيب وكل ما حولي صدى

* * *

انا لن ترى عيناى هذا العيد ان بقى الهوان
فوق البريمى أو فلسطين الحبيبة أو عمان
أو قطع المستعمر الباغي به حبل الامان
أو لاح في الآفاق شر من أراجيف الزمان
يشقى بها الانسان وهو يريد فيضا من حنان

* * *

فاذا ترنم بين احضان الورى طير السلام
وأفاق هذا العالم المحموم من ليل الخصام
وأطل ذاك الصبح وانتحرت شياطين الظلام
وتحطم الصنم البغيض غدا على صدر الرغام
فالعيد في أذني انغام وفي قلبي غرام

وفي أكواخ اللاجئين ، وفي بؤسهم ، وشقائهم ، يقول الشاعر صالح العثيمين :

بنفسي ابناءك التائهين … حيارى جفاهم لذيذ الكرى
يهيمون كالوهم عبر الاسى … كطيف الخيال اذا ما سرى
ودمدمة الثأر في عرقهم … تكاد تهز أعالي الذرى
وعصف الفداء بارواحهم … يكاد يضرم بطن الثرى

وعن ذكريات فلسطين ، وايامها الغر ، وما بدلت به رحابها من مقارنة المنكر ومعاطاة الآثام ، يقول الشاعر احمد فرج عقيلان ، واهو وان كان فلسطيني المولد فهو سعودى الاصل والهوى والنزعة :

وطني حبك ذمة لن تخفرا … لا لن يعيش عليك شذاذ الورى
قالوا نسيت فقلت واثكل العلا … اني اذا الاذل من وطىء الثرى
أنسى وحقلي نصب عيني ماثلا … واللص يقطف سادرا متبخترا

ومساجدى عادت مجالس للطلى فيها الندامى يقرفون المنكـــرا
لا كنت من اشبال أســد محمد ان لم أثر دون العرين وأثــأرا
قم يابن يعرب نقتحم قمم العلا فالصقر ليس يعيش الا في الذرا
عار على الابطال كهف مشــرد فطبيعة الذروات تأبى الاجحـرا

واذا مرت بنا لمحات عابرة ، عن دور الادب في معركة فلسطين .. لا يفوتنا ان نستخلص بعض الجوانب الهامة التي يجب ان تقال عن أدب قومي معركة حياة أو موت بالنسبة لامة العرب :ـ

١ ـ ان انتفاضة الادب العربي ـ بالنسبة لهذه القضية ـ جـــاءت متأخرة ـ كما قدمنا ـ بينما كان يجب ان يكون الادب الرائـد الذى لا يكذب أهله ، والقائـد الذى يرسم الخطط ، ويراقب العدو ، ومواطـــن خدعه ، ومباغتاته قبل وقوع المعركة ...

ولعل للظروف القاسية التي كانت تمر بها الامة العربية آنذاك ، وليد الاستعمار الغاشمة التى تسيطر على معظم الوطن العربي وقتها ، وللتخلف الفكرى ، والوعى الجماعى ، ما يقوم سببا لما وقع ..

٢ ـ رغم هذه الانتفاضة الادبية بعد النـكبة ، وما حشـــدته من جهود ، وحققته من انتصار .. الا اننا لا نبرئهـا من طابع السرعة ، وعامل الخطف .. اذا لم نقل الفجاجة .. حيث لم تتعمق المأســاة ، وتستقص ذيولها وجذورها وتتفطن لاساليب واحابيل الصهيونية العالمية ، والاستعمار ، وما يحيكه من دسائس ، ويدبره من مكائد .. فقد أشيع ـ مثلا ـ عن الشعب الفلسطيني ان له يدا في وقوع النـكبة ، وانه اندفع ـ في بدايـة الامر ـ وراء مطامع اليهود ، واغراءاتهم في بيع ممتلكاتهم ، والاندفاع وراء شهواته .. وشاعت هذه المـكيدة وذاعت ، وامتلأت بها بعض الرؤس ، وأقرتها بعض الاوساط ..

وما هي الا مكيدة مدبرة ، ونكاية مدسوسة .. اريد منها تخـــدير الجانب العربي ، وبث بذور البغضاء والفتــــنة في صفوفه ، والمباعدة بين الفلسطيني وبين الاسهام بنصيب أوفر في تحرير بلاده ، وحجب الشـعب الفلسطيني عن خوض معركته ، وركون بعض النفوس الضعيفة الى هـذه

الدسيسة كحجة واهية •• بأن ما تم بما كسبته يد صاحب الحق الاول ••
وما ذلك الا ضرب من ضروب التخدير ، ونوع من أنواع الخديعة واسلوب من أساليب الحرب الباردة •• التي يدبرها اليهود ••

فما رأيت الادب وقف هنا ، وقال كلمته ، وافهم الرأى العام من اين اتت هذه المكيدة ، وكيف دبرت ، وماذا يجب ان تقابل به •• وكيف ان الشعب الفلسطيني قاتل وناضل وقدم ألوف الشهداء ، وخاض معارك اليهودية العالمية والاستعمار عشرات السنين ، قبل ان يمسح العالم العربي عن عينه آثار السنة ، وينفض غبار جهل القضية •• حتى لقد شهد القادة الانكليز لرجال العصابات الفلسطينيين بصدق الاقدام ، وعظمة التضحية ، بعد ان رأوها بانفسهم على جبال فلسطين في عشر ثورات عاصفة ••

تجاهل ذلك الادب العربي ما عدا مؤلفا سعوديا فضح هذه الدسيسة بالحقائق والارقام •• هو الاستاذ فهد المارك في مؤلف أسماه :

« قالها الصهاينة •• وصدقها مغفلو العرب »

ونشأت ــ مثلا ــ في اوساط العالم العربي ــ بعد تحرره ــ خصومات ، ومنازعات ، تطورت الى عداء وتنافر في وقت هو احوج ما يكون الى الوئام ، وأظمأ ما يكون الى الانسجام •• لكي يتخلص من حبائل السوء ، وعقابيل الاعداء •• ولكنها مدت في أجل تأخر الامة العربية ، وافسحت المجال لتحكم عدوها ، وأبرزت له مقاتلها••وما هي الا دسيسة أخرى أرادت منها اليهودية العالمية ، ومن ورائها الاستعمار •• تفتيت الجهود ، وتوزيع الكيان ، وضرب بعضنا ببعض في الوقت الذى يبنى فيه العدو ، ويضاعف من استعداده •• وما كان موقف الادب ، من هذه الريب •• موقف الرائد الذى يرفع عقيرته بالتحذير ، ويقف من هذه الدسائس موقف الناصح الامين ، ويستعدى الرأى العام العربى ضد هذه المواقف المؤلمة •• بل خرس وجمجم اذا لم نقل انه أخذ منه كل جانب بجانب ، وراحت مذاهبه شيعا ، وحملته غزين •• وما هكذا يكون أدب قومى يدافع عن قضايا أمة ويعيش لتعيش ••

٣ ــ يمر الشعر العربي بدور ركود وانكماش ، قبل ان يبلغ اشده ،

ويستوى على سوقه ، بمسايرة النهضة الحديثة •• فالصفوة المختارة من أعلام الادب ورواده ، لم نعد نراها تتقدم الصفوف ، وتأخذ بمقود الزعامة الفكرية ، في توجيه ناشئة الشعراء نحو الطريق السوي للادب الحي الناضج والشعر القوي المؤثر •• والصحافة التي عهدناها تعنى بشؤون الشعر وكانت لها الصدارة في عالم الوعى الادبي •• لم تعد تحتفى بالشعر كما يليق بهذا الفن الباعث ، ولم نعد نرى الا لمحات ، ونفحات تنشر بين الفينة والاخرى ••

ان الشعر ـ وهو محور الادب ـ يقضى الان اجازة طال زمنها ، ولم تعد تلك العصماوات التى تنطلق من لدن حافظ ابراهيم وشوقى ، والرصافي ، والبارودى •• وغيرهم من اعلام الشعر •• تاخذ مكانتها في الاوساط العربية •• فلقد كانت تلك القصائد تسير مسير الشمس ، ويتناقلها الملايين من القراء العرب ، وتكون مجال التعليق والتحقيق والمداولة •• ومن ثم التأثير والتفاعل ••

وعلى الجملة فسوق الادب يسودها ركود ، ونبعه ينتابه تقلص •• وسواء اكان مرد هذا الى القارىء العربي ، أم الى الادباء انفسهم •• أو اليهما معا ، بمؤثرات طارئة أو اعتبارات زمنية •• فهي ـ ولا شك ـ نكسة ضحيتها المجتمع العربي ، ومستقبل الامة العربية •• واذا لم تحظ قضية فلسطين بما كان متوقعا ان تحظى به كقضية أمة ـ ولا كقضايا الامم الاخرى ـ فمرد هذا الى الظرف الذى يمر به الادب العربي الان ••

وبعد فان الامة العربية الان في دور تحفز وتعبئة واستعداد للجولة الثانية •• وبصدد غسل عار لحق بتاريخنا لم يسبق له مثيل • وامام عدو أمتهن مقدساتنا وشردنا من أرضنا وهتك اعراضنا ، واستباح حمانا ، ولطخ سمعتنا بين امم الارض ، وله مخططات واحلام واسعة ، يلاحق تحقيقها يوما فيوما •• وما مشروع الاعوام العشرة الذى وضعته دولة اسرائيل ، الا خطوات اولى من خطواته •• هذا المشروع هو كما رسموه في برامجهم التطويرية ـ منذ سنتين ـ وخلاصته ما يلي :

غمر فلسطين بنحو ستة ملايين يهودى أو أكثر من شتى انحاء

العالم ، واسالة مياه الاردن الى منطقة النقب الواسعة لريها ، وتحسينها وجعلها صالحة لاستيعاب المهاجرين الجدد ، وشق قناة بحرية من خليج العقبة الى ساحل البحر الابيض المتوسط لتضاهي وتنافس قناة السويس ، وانشاء جيش يهودى يزيد على مليون جندى لغـزو الاقطار العربية ، والسيطرة على مدينة القدس وجعلها العاصمة الدينية والمدنية للدولـة اليهودية ، وتصفية الاقلية العربية الموجودة في القسم المحتل من الاراضي الفلسطينية ..

هذا جزء من مخططات اليهود الذين يعملون ليل نهار ، نسـاء ورجالا واطفالا ، ويضحـون بكل ما يملكون ، ويتفانون في سبيل تنفيذ مخططاتهم الجهنمية .. بدافع من وعى ، وحافز من شعور ، ورائد من يقظة .. يشبها حقد لدود ، وفكر مركز ، وطاقات مكتنزة ، وفهم لئيم للمعركة ...

وموقف كهذا يجب ان يقف فيه الادب العربي في الطليعة ، وان يجند نفسه وينذرها لهذه القضية دون سواها في هذا الظرف .. يجب ان يسمع الامة العربية طلقات الادب ، وانفجاراته ، وقذائفه في غمار المعركة الفعلية وقبلها .. يجب ان يجمع الادب العربي نفسه ، وينظم صفوفه ، ويركز اهدافه ، وينفض مؤتمره هذا عن خطة محكمة تتقدم خطط الجولة الثانية ، وتهيء الفكر العربي لها ، وانه لفاعل ان شاء الله ..

وختاما فيسرني ان انقل الى حضراتكم ان حكومتنا السعودية ، تعلق على هذا المؤتمر آمالا عريضة ، وهى على اتم استعداد للاسهام بكل جهدها فيما يأخذ بيد أدبنا العربي الى آفاق السمو والحياة ، لانها تعتبر الادب وسيلة الاسلام في ابلاغ حجة الله على خلقه .. وتعتبره ايضا من أقوى الوسائل للبلوغ بالامة العربية المستوى اللائق بها ..

ثم انى احمل اليكم من مسارح الامجاد الاسلامية العظيمة بالجزيرة العربية ، ومن مرابع البلاغة والشعر تحية أدبية يفوح شذاها بعرار نجد ونفحات الحجاز ..

«والله أسأل ان يجعل اعمالنا وأقوالنا الى النصر والتأكيد والتمكين» .